۱۶۵۵۹

مجله	حضارة الاسلام
تاریخ نشر	۱۴۰۱ ق
شماره	اول سال بیست ودوم
شماره مسلسل	
محل نشر	دمشق
زبان	عربی
نویسنده	عبدالتواب هیکل
تعداد صفحات	۹۱ـ ۹۵
موضوع	المرأة المسلمة
سرفصلها	معنی الزوجیة فی الاسلام
کیفیت	
ملاحظات	

المرأة المسلمة

معنى الزوجيه في الاسلام

الاستاذ عبد التواب هيكل
٢٢/١

مقدمة البحث :

ان شريعة الاسلام هي شريعة الله المحكمة المشتملة على جماع الخير واسباب العزة والمنعة ومقومات الحياة الكريمة الطيبة لمن عمل بها والتزم حدودها ولم يرض بها بديلا ولنعيم الآخرة بعد ذلك خير وابقى ولا عجب فان الذي انزلها أحاط بكل شيء علما « **قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض** » « **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » .

واذا كان الكون هو صنع الله المعجز دقة واحكاما فلا ترى فيه عيبا ولا خللا ولا فطورا ولا وهنا « **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير** » فكذلك شريعة الاسلام أصلها ومحورها الاساسي هو كلام الله المعجز دقة واحكاما وتشريعا حكيما مستوعبا كل ميادين الحياة البشرية في جميع عصورها وكافة بقاعها « **ما فرطنا في الكتاب من شيء** » .

ففيه العقائد الفطرية الواضحة التي يقرها العقل ، وتسكن لها النفس ويطمئن اليها القلب وتسمو بالانسان عن الخضوع والعبودية لغير خالقه ورازقه، ومالك ضره ونفعه ، وموته وحياته فلا اله غيره ، ولا رب سواه وفيه جماع الاخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس البشرية وتطهرها من كل دنس وقذر ، وتكفل للفرد وللمجتمع الاستقرار والرخاء والحياة الآمنة المطمئنة ، والعيشة الراضية الهنيئة .

وفيه اسس التشريع الحكيم العادل الشامل لكافة المجالات الحياتية ، والذي يحقق للانسانية السعادة والخير في دنياها وآخراها ويقيم بين الناس المساواة والعدل ويحفظ لهم الحقوق ، ويرفع عنهم الحرج « **وما جعل عليكم في الدين من حرج** » وهو بعد هذا كله معجزة الله الخالدة وحجته البالغة ، ونوره المبين .

الزوجية في الاسلام :

ان الاسلام نظم الاسرة . فالاسرة فيه هي قاعدة الحياة البشرية وهي الوحدة الاولى في بناء الجماعة وهي اصل يتفرع عنه سائر فروع الحياة الانسانية . وقد شاءت حكمة الله سبحانه أن تبدأ اول نبتة بشرية في الارض بأسرة واحدة من نفس واحدة خلق منها زوجها فتكونت اسرة من زوجين تفرعت منها سائر الاسر البشرية والوحدات الاجتماعية التي امتدت بها الحياة وعمرت الارض وقام عليها نظام المجتمع الانساني الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

فالناس جميعا يرجعون عقيديا الى رب واحد . ونسبا الى نفس واحدة **« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا »** (أول سورة النساء) . ومن هنا حظيت الاسرة في الاسلام بعناية ورعاية لم تلق مثلهما في اي شريعة اخرى سماوية كانت او ارضية .

عناية ورعاية تستهدفان اقامة هذه الوحدة الاجتماعية على افضل الاسس واقواها من حيث المودة والمحبة والتعاطف والبر والتسامح والتعاون ومكارم الاخلاق على ان ترتكز هذه الاسس على دعامة الايمان وتقوى الله . وكان من عناية الاسلام بالاسرة انه لم يشأ ان يتركها عرضة للمشاكل التي قد تتعرض لها فتجتاحها او تصدع بنيانها وتفسد حياتها فوضع لها النظم الدقيقة العادلة والتشريعات الحكيمة التي لو طبقت بامانة لاستاصلت اسباب الخلاف والنزاع وضمنت استمرار الحياة الامنة المستقرة التي لا تسعد بها الاسرة وحدها بل يسعد من ورائها المجتمع كله .

مظاهر عناية الاسلام بالزوجية

وكان من عناية الاسلام بالزوجية ما يلي :

اولا : اضفى على الحياة الزوجية معنى جميلا رائعا فيه تكريم لها . وتنويه برفعة منزلتها وسمو مكانتها . واشارة الى ما تهدف اليه حياة السكون والاستقرار والى ما يجب ان تقوم عليه من المودة والصفاء والرحمة استمع الى قوله تعالى : **« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** الروم (٢١) .

ويرتفع هذا المعنى بالجميع الى مستوى القمة في قوله تعالى **« هن لباس لكم وانتم لباس لهن »** البقرة (١٨٧) .

امام هذا التعبير القرآني المعجز في تصوير معنى الحياة الزوجية يسجد

البيان وتركع الاقلام . هذا ولعل في اطلاق لفظ (زوج) على كل من الرجل والمراة بعد ارتباطهما برباط الزوجية ما يوحي بشيء من معنى الآية «هن لباس لكم وانتم لباس لهن » وذلك أن الرجل والمراة كان كل منهما قبل رباط الزوجية فردا فصار بعدها زوجا وصار كلاهما زوجين اي ان كلا منهما اندمج بالزوجية في صاحبه اندماجا جسديا وروحيا فاصبح بها زوجا . واصبحت به زوجا .

ثانيا : ويستهدف الاسلام من هذه الحياة الودود انشاء كيان عائلي موصول النسب محكم الوشائج مترابط الحلقات متعاطف اللبنات كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا يسوده الوفاق وروح التعاون ويؤدي ما عليه من واجبات قبل ان يأخذ ما له من حقوق .

ثالثا : وقد ركز الاسلام (حماية للاسرة وللمجتمع) على هدفين خطيرين :

الهدف الاول :

الوقاية من الفواية . فنندد بكل لقاء يتم بين رجل وامراة عن غير طريق الزوجية المأمونة الطاهرة النظيفة التي شرعها الله تعالى وبين حدودها واركانها كطريق المسافحة او المخادنة او اتخاذ الخليلات بدل الحليلات ، قال الله تعالى : **« واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين »** (النساء ٢٤) . وقال سبحانه : **« محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان »** (المائدة ٥) .

الهدف الثاني :

تكوين محضن نظيف حصين تنشأ فيه الذرية على افضل الاسس واقومها وينظم به امر المجتمع ويقوي نشاط افراده بما يحملونه من مسؤوليات وما يتضلعون به من تبعات ويكثر به نسل المسلمين الذي به قوام قوتهم وسبب عزتهم فحث على التزوج بالحرائر العفيفات من المسلمات والكتابيات فمن لم يجد سبيلا الى الحرائر وخشي على نفسه العنت فبالاماء المؤمنات العفيفات . قال تعالى : **« اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين »** (المائدة ٥) . وقال جل شانه : **« ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان »** الى قوله تعالى : **« ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم »** (النساء ٢٥) .

كما حث على تزويج الايامى غير المتزوجين ممن يصلح للزواج . عبيدا واحرارا . نساء ورجالا دون خوف من الفقر منددا بمنع الاماء من الزواج اذا بدت منهن رغبة فيه حتى لا يرتكسن في البغاء ويشمن الفحشاء في المجتمع ، قال جل ذكره : « **وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** » (النور ٣٢ — ٣٣).

ومن الهدفين المذكورين آنفا يتأكد لنا ان الغاية الاساسية من الزواج في الاسلام ليست مجرد صلة جنسية بين ذكر وانثى كما يحدث في عالم الانعام والدواب الدنيا . وكما هو الشان في المسافحة والمخادنة واتخاذ العشيقات او الخليلات وانما الغاية الاساسية من الزواج في الاسلام هي انشاء وحدة اجتماعية على اسس من المودة والتعاطف والبر والتسامح والتعاون ومكارم الاخلاق على ان ترتكز هذه الاسس على دعامة الايمان وتقوى الله لتكون خير محضن واصلحه لتربية النشء تربية سليمة قويمة واعدادهم لقيادة البشرية قيادة حكيمة رشيدة الى عز الدنيا ونعيم الآخرة .

رابعا : كذلك ،من عناية الاسلام بالزوجية انه وضع لها من التشريعات الحكيمة العادلة ما من شانه ان يقتلع جذور النزاع من الحياة الزوجية ويضمن لها الاستقرار والاستمرار ويقيها شر التصدع والانهيار فحث على الصلح بين الزوجين اذا دب بينهما خلاف او نزاع داعيا الزوج خاصة الى التسامح وكظم الغيظ وعدم الاستجابة لعاطفة الكراهية ونزوات النفس فقد يكون الخير فيما يكرهه والشر فيما يحبه وهو لا يعلم فاذا تعذرت المعاشرة بالمعروف ففراق باحسان لا ضرر فيه ولا عدوان ، قال تعالى : « **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا ، وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا** » (النساء ٣٤ — ٣٥) وقال سبحانه : « **وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا** » (النساء ١٩ — ٢٠ — ٢١) ، وقال جل جلاله : « **وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من**

سعته وكان الله واسعا حكيما » (النساء ١٢٨ — ١٢٩ — ١٣٠) ، وقال جل ذكره : « **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم . وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم** » (البقرة ٢٢٦ — ٢٢٧) وكما دعا الزوج الى التسامح وكظم الغيظ والاحسان . دعا الزوجة كذلك الى الاخلاص والطاعة لزوجها في غير معصية وحفظه في نفسها وما له في غيبته وحضوره قال تعالى في وصف الزوجات الصالحات : « **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** » (النساء ٣٤) ، وقال ﷺ : « **خير النساء من اذا نظرت اليها سرتك . واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك** » وبعد هذا كله حفظ للزوجين خط الرجعة اذا انقطع حبل الزوجية بينهما بالطلاق مرة او مرتين .

واستئناف زوجية جديدة بينهما اذا انحلت عقدتها من الزوج الثاني وانتهت عدتها منه وارادت الرجوع الى الزوج الاول واراد هو ذلك ان ظنا ان يقيما حدود الله ويتعاشرا هذه المرة على بصيرة وهدى ومعروف واحسان قال تعالى : « **الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان** » الى قوله تعالى : **فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** » (البقرة ٢٢٩ — ٢٣٠) وهذه التشريعات الحكيمة السديدة تؤكد حرص الاسلام على استمرار الحياة الزوجية ودوام استقرارها .

هذا وقد جعل الاسلام حق القوامة للرجل لانه الاقدر بحكم الخلقة والفطرة على تحمل اعباء الاسرة وحمايتها والذود عن حياضها وقيادتها الى شاطئ السلامة والامان وهذه هي الدرجة التي جعلها الله للرجل على المراة وفيما عداها يتساويان في الحقوق والواجبات وفي مقابل هذه الدرجة كلف الاسلام الرجل وحده بتبعات الزواج واعبائه من صداق ونفقة ونحوهما ولا تكلف الزوجة شيئا من ذلك الا ان ارادت ان تتطوع مهما كانت غنية ومهما كان زوجها فقيرا ، قال تعالى : « **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم** » (البقرة ٢٢٨) وقال جل جلاله : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم** » (النساء ٣٤) .

اعود فاقول هذه التشريعات الحكيمة المتعلقة بتنظيم الاسرة وغيرها كثير لم اذكره خشية الاطالة كلها تؤكد مدى قدسية الرابطة الزوجية وجلال بناء الاسرة في الاسلام ومدى نفوره الشديد من فصم عراها وهدم صرحها حرصا منه على سلامة اللبنة التي يتالف منها بناء المجتمع الانساني الكبير .

فما احكم الاسلام في تشريعاته وما احرصه على مصلحة الاسرة والمجتمع ولكن اكثر الناس لا يعلمون وكثير منهم يعلمون ولكنهم يجادلون في الحق بعد ما تبين تعصبا لباطل اعتنقوه او تقليدا لغرب عشقوه فأصمهم واعمى ابصارهم .